وذات اثر محدود فأستمر الامن مضطربا خارج المدن ، واستمرت البلاد منهوكة القوى مهيضة الجناح لما اصابها من الخراب . ومن المعلوم ان رخاء العراق يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة التي يقوم ازدهارها على نظام الري . ولكن السلاطين الايلخانيين وحكامهم في العراق لم يهتموا بتطهير الانهار والقنوات ، ولا بفتح قنوات جديدة ، ومن نتائج هذا الاهمال ان الفيضانات تسببت دمارا كبيرا ولعل من اشهرها غرق بغداد في السنوات ٦٧٦ و ٦٨٣ و ٧٢٥ ، وغرق الحلة والكوفة في ٦٨٥ .ومن الطبيعي ان ظروف البلاد الاقتصادية والمعاشية المنخفضة والتخلف وقلة عدد المستشفيات وعدم العناية بها ، ادى الى ان يتعرض العراق لهجمات شديدة من الامراض الوبائية والمتوطنة .

ومع قلة الأهتمام الذي وجهته الدولة الى حالة العراق الأقتصادية ، كانت الضرائب ثقيلة وخاضعة لأهواء الحكام وجشعهم الذي لم يعرف الحدود . ومن تلك الضرائب : ضريبة الخراج وضريبة الرؤوس او الجزية وهي عامة على الجميع ، وضريبة الأسواق والعقارات والتمغات وضريبة المراعي وحصة الديوان من الاوقاف ومقدارها العشر ، اضافة الى ما كانت تحصل عليه من غش النقود وانقاص نسبة الذهب والفضة فيها ومصادرة الموقفين ، واخيرا ما كان ينفقه اصحاب الدور على الجنود الذين كانت تفرض اقامتهم عليهم احيانا . اما اسلوب جباية الضريبة فكانت على انواع ثلاثة هي : الضمان والجباية المباشرة والأقطاع . وكان التعسف السمة البارزة في اساليب الجباية المختلفة . وقد ادى ثقل الضرائب وتعسف جبايتها وضعف العناية بنظام الري ، الى تدهور احوال البلاد اقتصاديا وازدياد الخراب في بعض المدن فانحسرت المظاهر الحضارية وانتعشت البداوة مكانها .

لم يطل حكم السلالة الايلخانية اكثر من قرن من الزمن ، وكان ذلك متوقعا لكيان لايقوم الا على القوة والبطش . ومن ابرز اسباب ضعفهم هو الصراع على السلطة بين امراء البيت المالك ، وقد ظهرت بداياتها مع موت الأيلخان الثاني اباقا بن هولاكو في ٦٨٠ / ١٢٨٢ ، مما فسح المجال لتدخل زعماء المغول . وكانت اطماع اولئك الأمراء سببا لقيام الفتنة في اواخر ذلك العهد ثم انهياره . فلما مات الأيلخان التاسع ابو سعيد (٧١١ ــ ٧٣٦ / ١٣١٦ ــ ١٣٣٥) ولم يخلف وريثاً تسابق الطامعون الى استغلال الفرصة للوصول الى الحكم ، وكانت نتيجة ذلك اندلاع حرب اهلية عمت ارجاء البلاد وانتهت عندما تسنمت الحكم الاسرة الجلائرية في ٧٣٨/١٣٣٧ .

عهد الاحتلال الجلائري

٧٣٨ ــ ٨١٤هـ / ١٣٣٧ ــ ١٤١١م

اسس الشيخ حسن بن حسين بن آقبوغا الجلائري المشهور بحسن بزرگ (الكبير) الاسرة التي أصبح العراق سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م جزءاً من ممتلكاتها . وجلائر هي احدى القبائل المغولية التي ارتبطت بجنكيزخان ، ونال زعماؤها نفوذاً لديه . وبرز منهم أمراء اشغلوا مراكز مهمة في الجيش المغولي ، منهم ايلكونيان الجد الكبير لحسن الذي قاتل مع هولاكو في احتلال بغداد وبقي فيها ضمن الحامية التي تركها هولاكو في المدينة ، وتزوج حفيده حسين من ابنة الأيلخان ارغون وصار اميرا على خراسان في عهد ابي سعيد . وساعد هذا الزواج في أن يحتل ابنه حسن مكانة مرموقة في عهد ذلك الأيلخان لكونه ابن عمته . وفي سنة ٧٣٣ / ١٣٣٢ ، اصبح حسن حاكما على بلاد الروم (الاناضول) واستغل مكانته والنفوذ الذي حققه في ديار بكر والعراق ، فخاض

الصراع الذي اجتاح الأمبراطورية الايلخانية على اثر وفاة ابي سعيد في ٧٣٦ / ١٣٣٥ . وبعد سلسلة من المعارك استقر حسن في بغداد في ٧٣٩ / ١٣٣٨ واعلن استقلاله عن الأيلخانيين ، واصبحت بغداد طوال عهده وجانب من عهد ابنه وخليفته عاصمة للدولة التي شملت سيطرتها ـ اضافة الى العراق ـ الجزيرة (ومنها ديار بكر) واذربيجان والجبال ، وقد شهد العراق في عهده ، ولاسيما بعد انهيار دولة الايلخانيين في اذربيجان وخراسان في ٧٤٤ / ١٣٥٣ وتوقف التهديد الذي كانت تشكله على العراق ، حقبة من الهدوء والأستقرار ، وازدياد الاهتمام بالادارة والعمران ، وتواصل ذلك في عهد ابنه معز الدين (٧٥٧ ـ ٧٧٦ / ١٣٥٦ ـ ١٣٧٤) . الذي اتخذ لقب سلطان ، واحتل في ٧٦٠ / ١٣٥٨ ، تبريز التي اصبحت عاصمة للدولة حتى سنة ٧٨٨ / ١٣٨٦ .

ان فترة الاستقرار الذي شهدها العهد الجلائري لم تدم طويلا ، فلما مات اويس في ٧٧٦ / ١٣٧٤ خلفه ابنه جلال الدين حسين وكان ضعيفا محبا للهو والمجون ، فساعد ذلك على انتشار الفتن والاضطرابات وتسلط الامراء على شؤون الحكم . وأشتد الأضطراب بسبب النزاع الذي نشب بين السلطان واخويه الشيخ علي حاكم بغداد ، واحمد حاكم البصرة ، واستمر ذلك النزاع حتى سنة ٧٨٤ / ١٣٨٢ ولتعسى بمصرع السلطان حسين وأستيلاء احمد على الحكم . ولكن الامور لم تستقم للسلطان الجديد اذ وجد نفسه مكرها على خوض سلسلة جديدة من المعارك ضد اخويه الشيخ علي الذي اعلن نفسه سلطانا في بغداد ، وبايزيد الذي انفصل في مدينة السلطانية (في اذربيجان) . وانقسم قادة الجيش بين الأخوة الثلاثة ، حتى تمكنت قوات احمد من قتل الشيخ علي في المعركة التي جرت سنة ٧٨٥ / ١٣٨٣ ، ثم تم بعدها بين السلطان واخيه بايزيد صلح اصبحت بموجبه منطقة الجبال لبايزيد .

الغزو التيموري

كان للنتائج التي اسفرت عنها تلك الصراعات أسوأ الأثر في احوال العراق الادارية والسياسية ، وجاءت الكارثة الكبرى بعد سنوات قليلة حين وصلت طلائع الموجة المغولية الثانية التي لم تقل هولاً عن تلك التي بدأها جنكيز خان ، وكان تيمورلنك زعيم هذه الموجة الاخيرة التي بدأت اندفاعها من اطراف مدينة سمرقند في ١٣٦٩ ، ولم ينته القرن الرابع عشر ، حتى اجتاحت القسم الغربي من اواسط آسيا وايران والعراق والأناضول والهند. واطبقت طلائع القوات التيمورية على تبريز في ٧٨٨ / ١٣٨٦ بعد ان احتلت السلطانية فانسحب السلطان احمد الى بغداد . ثم زحف تيمور الى بغداد في ٧٩٥ / ١٣٩٣ ، ودخلها بعد ان هرب أحمد الى الشام ، ونهب الغزاة المدينة ولجأوا الى التعذيب الوحشي للحصول على الاموال ، والاعتداء على الأعراض . وانتشرت قوات تيمور في العراق واحتلت معظم مدنه . ولكن في نهاية السنة التالية ، استغل السلطان احمد انشغال تيمور في حربه على القبيلة الذهبية في القفجاق واستطاع بمساعدة برقوق سلطان المماليك في مصر ، وبدعم القبائل العربية من استعادة بغداد ، وطرد الوالي التيموري مسعود السبزواري كما نجح في اعادة سلطته الى بقية المدن العراقية . الا انه لم يشعر بالأطمئنان ، وظل هاجس تهديد تيمور مسيطرا عليه ، ومع انه نجح في افشال الهجمات التيمورية مابين سنتي ٨٠١ / ١٣٩٨ ــ ٨٠٢ / ١٤٠٠ ، فأنه قرر مغادرة بغداد . وبعد ان ولي عليها الأمير فرج (فروخ) ، توجه بصحبة حليفيه كل من امير قبيلة الخروف الاسود التركمانية ، وقره يوسف حاكم ديار بكر ، ولجأ عند السلطان العثماني بايزيد الأول (١٣٨٩ ــ ١٤٠٢) واحكمت قوات تيمور الحصار على بغداد في ٢٦ ذي العقدة ٨٠٣ / ١٤٠١ ، وبعد صمود دام اربعين يوما دخلتها القوات الغازية ، وجرت مذبحة عامة للسكان واستبيحت المدينة ثلاثة ايام

مكتبة احمد
كافة المناهج الدراسية
محاور الدار الاول

اقيمت خلالها عدة ابراج من رؤوس القتلى • ورافق عمليات القتل تهديم للمنشآت العمرانية • وترك تيمور بغداد بسبب تعفن هوائهـا من تنن الجثث وعاد الى تبريز ، بعد ان الحق العراق بالجزء الغربي من امبراطوريته بادارة ابنه ميران شاه ، كما ولى على بغداد حفيده ابا بكر •

احدث غزو تيمور الثانـي للعراق فوضى عامة في البـلاد استمرت اربـع سنوات وادت في النهاية الى انحسار النفوذين التيموري والجلائري وقد شهدت هذه المرحلة صراعات متداخلة بين كل من تيمور والسلطان احمد وقـره يوسـف •

الصراع على السلطة

اغتنم السلطان احمد فرصة زحف تيمور الى الاناضول في ٨٠٤/١٤٠٢، فجمع اتباعه وعاد الى العراق عن طريق الفرات حيث التحق به عدد آخر من الاتباع ، ونجح في استعادة بغداد ومد سلطانه على المنطقة الوسطى من العراق • وحاول اعادة الحياة الى العاصمة ، ولكن سلطته كانت ضعيفة ، كما تواصلت هجمات القوات التيمورية وتمرد عليه الامراء ، واعلن حليفه قره يوسف انشقاقه ، ونجح في الاستيلاء على بغـداد في اواخر ٨٠٥ / ١٤٠٢ مجبرا السلطان احمد على الفرار من جديد الى الشام ، وفي السنة التالية ، هاجمت قوات تيمور بغداد للمرة الثالثة واحتلتها وفر قره يوسف الى الشام حيث تمت تسوية خلافاته مع السلطان احمد في المنفى •

ان السياسة التي انتهجها تيمور طوال سنوات ٧٩٥-٨٠٧/١٣٩٣-١٤٠٥ ، كانت لها آثار سيئة في أوضاع العراق ، فقد اودى الغزو بحياة عدد كبير من الناس بسبب الهجمات المتكررة ، كما تسبب في تشريد عدد آخر من السكان وتهجير أصحاب الخبرات العلمية والحرفية الى مدن

ما وراء النهر • وكان أثرها واضحا في خفض عـــدد السكان وتدهور النشاطات الاقتصادية والفكرية والعمرانية •

توفى تيمور في ٨٠٧/١٤٠٥ في أثناء زحفه لغزو الصين ، وتلت وفاته اندلاع الاضطرابات في ارجاء مملكته التي لم يوحدها ولم يمنعها من التفكك سوى سطوته وبطشه • لذا فقد تشجع السلطان احمد وقره يوسف على ترك الشام واستئناف نشاطيهما مرة اخرى في العراق واذربيجان • فأستعاد احمد بغداد في محرم ٨٠٨ / ١٤٠٥ بعد ان فر حاكمها التيموري دولة خواجة ايناق الى فارس اما قره يوسف فذهب الى تبريز • وبذل احمد جهودا لأعادة تنظيم البلاد وتحصين بغداد ولكن الخلاف مع قره يوسف كان حائلا دون الأستقرار • ولهذا قرر السلطان حسم الموقف ، فهاجم تبريز في ٨١٣ / ١٤١٠ بجيش كبير ، ولكن التوفيق جانبه ، اذ اندحرت قواته في المعركة ولقي مصرعه وهو يحاول الفرار ، وتقدم جيش قره يوسف بقيادة ابنه محمد شاه الى بغداد ودخلها في جمادى الاولى ٨١٤ / ١٤١١ ، وكان ذلك خاتمة لعهد الحكومة الجلائرية وبداية لعهد دولة الخروف الأسود التركمانية

سار الجلائريون على النظم التي كانت قائمة في البلاد ولم يضيفوا شيئا جديدا الى ماكان عند اسلافهم من النظم الأدارية والحضارية والاقتصادية ، ولكن الاهتمام الذي وجه الى العراق وبغداد خاصة ازداد في هذا العهد • فبغداد كانت عاصمة للدولة قرابة نصف قرن ولكن الجهاز الاداري كان مضطربا يسوده الانحلال • ويعزى ذلك الى الحروب بين الجلائريين والحكومات المجاورة ، وهجمات تيمورلنك المتواصلة على العراق التي لم تفسح المجال للحكام في التفكير باصلاح جدي • كما ان عوامل اخرى منها ارتباك الادارة وقلة الكفاءة والضبط بين الموظفين ادت دورها في عدم رسوخ السلطة الجلائرية في المدن جميعا •